وشهورا، والا ثقالا، قبل أن يتجاوزوا هذه الكلمة:

"موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية"

الموقف هذا رائع حقاً. يدل على خصب فائق بخيال علمى رحب، وثقافة فلسفية واسعة، وجدل منطقى دقيق، إنه يعلم المحاكمة والنقد والتحليل، وليته لا يضيع في الشكيات، ليته يدخر شيئاً من طاقته الضخمة هذه للنتائج. إنه وهذ ما نأسف له ـ لا يوشك أن نصل إلى الموضوع العملى المربوط باختصاصه. . المربوط بتنظيم الحياة. لا يكاد يصل حتى يفقد نظاطه، فتنبهر أنفاسه، وترتعش أوصاله، ويأخذه دوار ينسبة التحقيق في حدود عمله. شروط فهم الموضوع المحدد أنسته تحديد الموضوع.

وذلك هو عيب الفكر التجريدى. كان البيزنطيون بستأثرون بهذه العبقرية التي كنا. . كانت النجف ترمز إليها بـ"كليات أبى البقا". أما الآن فقد عاد التجريديون كلهم بيزنطيين. كلهم أبا البقا.

* * *

الفتيا بالأحكام الشرعية مستنبطة من الأدلة التفصيلية.

هذا اختصاص الفقية بالضبط.

ولكن ما مضمون هذا الاختصاص؟ ما حدوده؟ ما وسائله؟ ما التزاماته وتعهداته ومسئولياته؟ مامكانه من نظامه الأساسى؟ ما علاقته بغيره من المعارف الناشئة، أو المتطورد في عائلة الفكر؟ ما هي أفعال المكلفين التي هي موضوع علمه، والتي أحكامها غايته؟

إن مشكلة اختصاص الفقية لا تنحل قبل الإجابة على هذه الأسئلة. وهكذا يظهر أن العبرة ليست باستظهار التعاريف.

* * *

بعد ثورة الأدباء والفنانين على مذهب (الفن للفن) من سلسلة الثورة